30/06/2024

قلب الكفاح

رواية عن البقاء والصمود

للمؤلف
إبراهيم أحمد إبراهيم فضل الله

قلب الكفاح

تأليف: إبراهيم أحمد إبراهيم فضل الله

يوليو 2024.

مقدمة

عندما سقط نظام البشير، تبددت الأحلام بسرعة من أمام أعين السودانيين، فلم يكن الفرح بالتغيير مستمرًا، بل بدأت الصعوبات تتكاثر بوتيرة متسارعة. تحولت البداية الهادئة لنهاية نظام إلى عصف غير مسبوق بالسودان، حيث بات كل فرد مسؤولًا عن حماية نفسه وعائلته.

في قلب هذا العاصفة، وجدت نفسي أخوض معركة من أجل البقاء في وسط الفوضى. كانت الأيام الأولى مليئة بالأمل والتفاؤل، ولكن سرعان ما تبددت تلك الآمال عندما اكتسحت شوارعنا موجة من العنف وعدم الاستقرار. في ظل هذه الظروف القاسية، كان عليّ أن أتحلى بالصبر والشجاعة، وأن أجد طرقًا لحماية أحبائي وتأمين مستقبلنا.

هذا الكتاب هو رواية عن البقاء والصمود، عن التحديات التي واجهتها والتضحيات التي قدمتها في سبيل حماية ما هو أغلى عليّ. إنها قصة عن الإنسان وقدرته على الصمود في وجه أصعب الظروف، وعن الأمل الذي ينبعث حتى من أعماق اليأس.

الفهرس

الفصل الأول: فى قلب العاصفة

تحكي هذه الرواية قصة نجاة وبقاء في زمن الفوضى، في حرب البرهان وحمدتي، حيث يُظهر المواطن البسيط قوة الإرادة والعزيمة في مواجهة الظروف القاسية. كانت البداية مليئة بالأمل في التغيير، ولكن سرعان ما تحولت تلك الآمال إلى واقع مرير من العنف والفوضى.

في هذا المناخ المضطرب، نجد أنفسنا نعيش وسط صراع لا يرحم، حيث لا مكان للأمان أو الراحة. كل يوم يحمل تحديات جديدة تتطلب منا أن نظهر قوة لا مثيل لها وصمودًا لا ينكسر. إن البساطة التي كنا نعيش بها تتحول الآن إلى مصدر قوتنا، فنجد في تفاصيل حياتنا اليومية ما يعيننا على البقاء ومواصلة الكفاح.

يُظهر لنا الرواي في هذه السطور كيف يمكن أن تتحول البساطة والصمود إلى بطولة في ظل الأزمات والمحن. ستتعرف على قصص لأشخاص عاديين واجهوا ظروفًا غير عادية، وكيف استطاعوا تحويل الخوف إلى شجاعة، واليأس إلى أمل. ستكتشف أن البطولة ليست فقط في الأعمال البطولية الكبرى، بل في القدرة على الثبات والتحمل في وجه الصعاب.

في خضم هذه الحرب التي تجتاح الوطن، ستجد نفسك تُعيد تعريف معنى البطولة والبقاء. ستدرك أن كل يوم جديد هو فرصة لتظهر شجاعتك وإرادتك القوية في مواجهة الظروف القاسية. هذه الرواية هي شهادة على قدرة الإنسان على الصمود والتحمل، وعلى أن الأمل يمكن أن ينبعث حتى في أحلك الأوقات، ليضيء طريق البقاء والنجاة.

في ليلة الخامس عشر من أبريل في عام 2023، تم إعلان بداية الحرب بين البرهان وحمدتي. ظن الناس أنها ستكون فترة قصيرة تنتهي خلال أيام قليلة. لكن ما لم يتوقعه أحد هو أن الدمار قد بدأ. كنت أنا وصديقي أحمد طارق نضحك على هذه الأخبار، ظنًا منا أنها ستنتهي بعد يوم أو يومين. نمنا على هذا الخبر، وفي صباح اليوم التالي استيقظنا على صوت هاون يقصف معسكر الدعم السريع في مربع 1 بحي النصر في منطقة شرق النيل وطائرات الساخوي تحلق بالغرب من الارض على ارتفاع منخفض جدا. عندها أدركنا أن هذه الحرب ستكون أقوى من سابقيها وأن الأخبار لم تصور لنا هول ما سوف يحدث. كانت أمي وأخواتي في حالة ذعر وخوف، ومع تصاعد الاشتباكات أصبحنا في حالة قلق ولا نعلم ما سوف يحدث.

قالت أمي: "كنا نعلم أن هذا سوف يحدث." وإذا بصوت الطائرة الحربية يحلق فوقنا وأصوات النيران قد بدأت. اقترحت أمي وأختي الصغرى أن نغادر الخرطوم حتى تهدأ الأجواء، لكنني أنا وأخي خطاب لم نوافق.

وبعد عدة أيام من الاشتباك بين الدعم السريع والقوات المسلحة، قررت أسرتي الخروج من الخرطوم بعد ان اصابت الطائرة ارتكاز للدعم السريع في شارع العلفون. غادرت أمي وأخواتي وأخي الأصغر أواب إلى مدينة الدمازين بعد أن تم ترتيب كل شيء. بقينا أنا وخطاب في منزلنا، وفي ليلة هادئة كانت شمس الغروب تلوّن السماء بلون الدم. جلستُ مع خطاب أمام باب منزلنا. كانت الخرطوم، المدينة التي عاشت في قلبنا، تعيش في ظلام الحرب والخوف. اعتزمنا أنا وخطاب على حماية بيتنا بما أوتينا من قوة.

كان خطاب، جارنا وصديقي، يشاركنا نفس المصير. كنا نجلس معًا في صمت، نتبادل النظرات التي تحكي الكثير دون حاجة للكلمات. كانت المدينة تغرق في صمت مخيف، وكأنها تترقب الأسوأ.

تحدث خطاب بصوت خافت قائلاً: "لم أكن أتصور أن تأتي هذه الأيام علينا. كنا نحلم بغدٍ أفضل، فإذا بنا نعيش في كابوس لا ينتهي."

أومأت برأسي موافقًا، وأنا أراقب الشوارع الخاوية التي كانت تعج بالحياة يومًا ما.

تذكرت الأيام التي كانت فيها الخرطوم تضج بالحياة، بالضحك والأحاديث المرحة، بالأمل في مستقبل مشرق. الآن، باتت المدينة ميدانًا للحرب، وكل زاوية تحمل خطرًا جديدًا. كنت أعلم أن علينا أن نكون حذرين، وأن نكون مستعدين لأي طارئ.

وسط هذه الفوضى، كانت الأسرة هي الشيء الوحيد الذي يمنحني القوة. كانت رؤية وجوه أحبائي تملأني بالعزيمة والإصرار. كنت أعلم أنني مهما حدث، سأبذل كل ما في وسعي لحمايتهم. في تلك اللحظات، لم تكن البطولة تعني الوقوف في وجه العدو فقط، بل كانت تعني الصمود، البقاء، والحفاظ على ما هو مهم.

بدأ الليل يخيم على المدينة، ومعه تزداد المخاوف والتهديدات. جلسنا في الظلام، نتبادل القصص عن الأيام الخوالي، نحاول أن نسترجع بعضًا من ذلك الدفء والأمان الذي فقدناه. كانت تلك اللحظات تذكيرًا لنا بإنسانيتنا، بقوتنا الداخلية، وبأننا قادرون على البقاء رغم كل الصعاب.

في قلب العاصفة، كانت البساطة والصمود هما سلاحنا الأقوى. كنا نعلم أن الأمل لا يزال موجودًا، وأنه يمكننا النجاة مهما كانت التحديات. بهذه العزيمة، كنا مستعدين لمواجهة كل ما هو قادم، حاملين في قلوبنا الأمل في غدٍ أفضل.

الفصل الثانى: فى مواجهة العواصف

بقينا أنا وخطاب في منزلنا نتصدى لكل تهديد محتمل. كنا ننام قليلًا، نقضي النهار في العمل، والليل في الحراسة. في ظلمة الليل، كان الهدوء يلف الأحياء كما لو كان الغطاء الوحيد الذي يحميها من الفوضى المستمرة في الخارج. كنت أراقب من سطح المنزل، أترقب أي حركة غير مألوفة. كان الصفاء الذي يغلف السماء الليلية يتناقض بشدة مع القلق الذي يعتمل في صدري. كنت أعتمد على الصفير كوسيلة للتنبيه، فالصوت الهادئ للصفارة كان يخترق السكون دون أن يثير الشكوك.في تلك الليلة، كانت النجوم تلمع بهدوء، وكأنها تراقب ما يجري على الأرض من مسافة آمنة. فجأة، رأيت مجموعة من الرجال المسلحين يقتربون من بيت الجيران. كانت خطواتهم ثقيلة ومشبوهة، وملامحهم لا تحمل سوى النوايا السيئة.رفعت الصفارة إلى شفتي وأطلقت نغمة قصيرة وحادة. في لحظة، توقفت جميع الأنشطة داخل المنزل المجاور، وأصبحت الحركة خافتة ومحدودة. كانت هذه الإشارة تعني لهم أن الخطر قريب، وأن عليهم أن يكونوا حذرين.بعد دقائق، رحل المسلحون دون أن يجدوا ما كانوا يبحثون عنه. كنت أعلم أنني قد نجحت في حماية جارنا، ولو لوقت قليل. ولكن هذا النجاح لم يكن يدوم طويلاً، إذ كان علينا أن نظل دائماً على حذر

واستعداد لمواجهة أي تهديد.في تلك الليلة، جلسنا معاً في الظلام، نتبادل القصص والضحكات، نحاول أن نخفف من ثقل الأيام. في هذه اللحظات، كنا نحاول أن نتذكر كيف كانت الحياة قبل الحرب، وكيف كانت البساطة جزءاً لا يتجزأ من يومياتنا. ومع ذلك، كنا ندرك أن هذه الأيام العادية قد ولت، وأننا نعيش الآن في قلب العاصفة، حيث كل لحظة قد تحمل معها نهاية غير متوقعة.

أصبحت حياتنا سلسلة متواصلة من اليقظة والترقب، وكان كل صوت غريب يثير فينا التوتر والخوف. لم يكن لدينا خيار سوى البقاء والدفاع عن منزلنا بكل ما أوتينا من قوة.

خرجت أمي وبصحبتها أخواتي وأخي الأصغر أواب إلى مدينة الدمازين، واستمروا في التواصل معنا. كانت المكالمات الهاتفية والرسائل النصية هي شريان الحياة الذي يربطنا بهم، ويطمئننا على سلامتهم. كانت أمي ترسل لنا الأخبار وتطمئننا بأنهم في مكان آمن بعيد عن نيران الحرب.

في أحد الأيام، بينما كنا نحن في حراسة المنزل، اتصلت أمي لتخبرنا بأنهم وصلوا بسلام إلى الدمازين. شعرت براحة كبيرة لعلمي أنهم في مكان آمن، ولكن في نفس الوقت كنت أشعر

بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقي. كان عليّ أن أكون قويًا لأجلهم، لأجل خطاب، ولأجل نفسي.

كانت الأيام تمر ببطء، وكل يوم كان يحمل معه تحديات جديدة. في النهار، كنا نقوم بتعزيز المنزل وحماية المداخل والنوافذ. كنا نجمع المؤن والمياه ونحرص على أن يكون لدينا كل ما نحتاجه للبقاء. وفي الليل، كنا نأخذ دوريات حراسة، نتناوب على السهر لنضمن أن لا شيء سيأخذنا على حين غرة.

كانت المدينة تغرق في ظلام الحرب، ولكن داخل جدران منزلنا كنا نحاول أن نحافظ على بصيص من الأمل. كنا نتحدث عن المستقبل، عن اليوم الذي ستنتهي فيه هذه الحرب وسنعود إلى حياتنا الطبيعية. كانت تلك الأحاديث تمنحنا القوة والعزيمة للاستمرار.

وسط هذه الأجواء المشحونة بالتوتر، كنت أشعر بأنني أخوض معركة لا نهاية لها. ولكن في نفس الوقت، كنت أدرك أن هذه التجربة تكسبني القوة والصمود. كانت الأوقات الصعبة تبرز أفضل ما فينا، وتعلمنا أن نكون أقوى وأكثر استعدادًا لمواجهة أي تحدي.

كانت الأيام تتحول إلى أسابيع، والأسابيع إلى شهور. ورغم كل شيء، كنا خطاب وأنا مصممين على البقاء والنجاة.

كنا ندرك أن هذه الحرب لن تستمر للأبد، وأن النور سيعود ليغمر الخرطوم مرة أخرى.

كنا نحلم بذلك اليوم، ونعمل من أجله بكل ما أوتينا من قوة.

بينما كنا نتجول في الحي، لاحظنا أن الناس بدأوا يتعاونون أكثر من ذي قبل.

كان هناك نوع من الوحدة والتكاتف، رغم الأوضاع الصعبة.

كانت هذه اللحظات تعطينا الأمل بأن الخرطوم ستنهض من جديد، وأن سكانها سيعيدون بناءها رغم كل الصعاب.كانت خططنا للمستقبل تشمل الكثير من التحديات، لكننا كنا نعلم أن الصبر والإيمان هما سلاحنا في هذه المعركة. لم يكن الأمر سهلًا، ولكننا كنا مصممين على البقاء والاستمرار، لنشهد اليوم الذي يعود فيه السلام إلى الخرطوم، ونعيش حياةً جديدةً مليئة بالأمل والأحلام

بهذا الإيمان والعزيمة، كنا نواجه كل يوم جديد، حاملين في قلوبنا الأمل في غدٍ أفضل، ومستعدين لمواجهة أي عاصفة تأتي في طريقنا.

الفصل الثالث: فى ظلال الخوف والأمل

الناس خارج الخرطوم يظنون أن كل من بقي هنا لص أو نهاب، ولكن الحقيقة كانت بعيدة كل البعد عن ذلك. كانت هناك قلوب طيبة تخفق بالخوف، لكنها مملوءة بالشجاعة. نظمنا أنفسنا، وضعنا خططًا لحماية ممتلكاتنا، رغم عدم اقتراب الجيش منا.

كان الليل يسدل ستاره، ويبدأ الخوف من جديد. همستُ لخطاب: "سنحمي ما تبقى من ذكرياتنا، مهما كلف الأمر". كانت تلك الكلمات تعبيرًا عن الأمل والتحدي، رغم كل شيء.

ترددت في الظلام خطوات مجهولة، كان هذا هو الوقت ليثبت كل منا شجاعته. كانت القلوب تخفق، والأعين تترقب، ولكن في أعماقنا كان هناك نور الأمل. قد تتغير الأيام، وقد يأتي الأمان، ولكننا سنظل هنا، نحمي ذكرياتنا وأحلامنا، حتى النهاية.

في إحدى الليالي، سمعنا صوت طرق خفيف على الباب. تبادلنا نظرات قلقة قبل أن يذهب خطاب لفتح الباب بحذر. كان الزائر

شابًا صغيرًا يحمل رسالة من جيراننا. كانت الرسالة تدعو إلى اجتماع سري لتنسيق الجهود والتعاون في مواجهة التحديات. وافقنا على الفور، فقد كنا ندرك أن قوتنا تكمن في وحدتنا.

في الاجتماع، تبادلنا الأفكار والخطط. كان الجميع مصممين على حماية ما تبقى من حياتنا العادية. اقترح أحد الجيران تنظيم دوريات ليلية لمراقبة المنطقة وإبقاء الحراس في حالة تأهب. بينما عرض آخرون تقاسم المواد الغذائية والأدوية.

كانت تلك الاجتماعات تعيد لنا الأمل. رغم الظلام والخوف، كانت هناك لحظات من التضامن والإصرار. أدركنا أننا لسنا وحدنا في هذه المعركة، وأننا قادرون على مواجهة أي تحدي معًا.

مع مرور الوقت، أصبحت الليالي أقل رعبًا. كانت الثقة تتزايد بيننا، وكنا نبتكر طرقًا جديدة للتكيف والبقاء. كانت هناك أوقات نضحك فيها على أبسط الأمور، وأوقات نبكي فيها على فقدان الأحباء. لكننا كنا نعلم أن الأمل هو الذي يمنحنا القوة للاستمرار.

في أحد الأيام، وصلتنا أخبار عن بوادر للسلام والمفاوضات. كانت هذه الأخبار تبعث فينا شعورًا متجددًا بالأمل. لم يكن من السهل علينا التصديق بأن النهاية قد تكون قريبة، لكننا كنا مستعدين لمواجهة أي مستقبل، حاملين في قلوبنا ذكريات الصمود والشجاعة.لكن الحقيقة كانت عكس ذلك، وزاد الوضع سوءًا. تصاعدت الاشتباكات، وانتشرت الفوضى في الشوارع بشكل غير مسبوق. الأمل الذي تمسكنا به بدأ يتلاشى تدريجيًا، وكأن الضوء الذي كنا نراه في نهاية النفق قد خبا.في إحدى الليالي، كانت أصوات القذائف والانفجارات تملأ الهواء. كان الخوف يخيم علينا مرة أخرى، لكن هذه المرة كان أشد وأعمق. نظرت إلى خطاب وقلت بصوت متردد: "يبدو أن الأمل كان مجرد سراب".كنا ندرك أن الوضع يتدهور بسرعة، وأن علينا أن نعيد تقييم خططنا. اجتمعنا مع الجيران مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت الوجوه تحمل ملامح اليأس والحيرة. كان الجميع يتساءل عن الخطوة التالية، وكيف يمكننا البقاء على قيد الحياة وسط هذا الجنون.كانت هناك لحظات من الصمت الثقيل. كان كل منا يغرق في أفكاره ومخاوفه. لم نكن نعلم ما إذا كنا سننجو من هذا الجحيم أم لا، لكننا كنا مصممين على المحاولة. كنا نعلم أن الشجاعة ليست في عدم الشعور بالخوف، بل في مواجهته والاستمرار رغم كل الصعاب.في

تلك الليالي الحالكة، كنا نستمد القوة من بعضنا البعض. كنا نعلم أن الوحدة هي سبيلنا الوحيد للبقاء. حتى في أحلك اللحظات، كانت هناك ومضات من الأمل تتسلل إلى قلوبنا، تذكرنا بأننا ما زلنا أحياء، وأننا ما زلنا نقاتل من أجل حياتنا وذكرياتنا.ومع مرور الوقت، تعلمنا أن نكون أكثر مرونة وتكيفًا مع الواقع الجديد. كنا نبني حياتنا وسط الفوضى، ونعيد بناء أنفسنا يومًا بعد يوم. كنا ندرك أن الأمل قد يتلاشى أحيانًا، لكن الإيمان بقدرتنا على الصمود كان يشعل فينا نارًا لا تنطفئ.كنا نعلم أن الخرطوم لن تعود كما كانت، وأن حياتنا قد تغيرت إلى الأبد. لكننا كنا مستعدين لمواجهة أي تحدي، حاملين في قلوبنا ذكريات الصمود والشجاعة. كانت تلك الذكريات هي التي تمنحنا القوة للاستمرار.

كنا ندرك أن التحديات لم تنتهِ بعد، وأن الطريق نحو الشفاء وإعادة البناء سيكون طويلًا. لكننا كنا مستعدين، بروح مملوءة بالأمل والإيمان. كنا نعلم أن الخرطوم ستنهض من جديد، وأننا سنكون جزءًا من هذا النهوض، نحمي ذكرياتنا ونبني مستقبلنا بأيدينا.

الفصل الرابع: المستنفرين والهدنة

مع مرور الوقت، ظهرت فئة جديدة في قوات الدعم السريع تُعرف بالمستنفرين. هذه الفئة لم تكن تتبع لقيادة الدعم السريع بشكل مباشر، بل كانت مجموعة من اللصوص الذين استغلوا الفوضى السائدة في الخرطوم لتنفيذ عمليات السرقة والنهب وتهديد المواطنين. تشكلت هذه الفئة من المجرمين الذين كانوا مختبئين في أنحاء المدينة، وفي ظل الظروف الصعبة التي واجهناها، اضطررنا لعقد هدنة مع بعض أفراد قوات الدعم السريع مقابل مبالغ مالية ومصالح لحمايتنا من هؤلاء المتفلتين.

كانت هذه الخطوة ضرورية لحماية منازلنا وممتلكاتنا. أتذكر بوضوح أحد المواقف التي دفعتني لاتخاذ هذه الخطوة، وهو عندما اقتحم منزلي في حي النصر بمربع 23 بشرق النيل ونهبوا مني مبلغًا ماليًا تحت تهديد السلاح. لم يكن هناك خيار آخر سوى التفاهم مع بعض أفراد الدعم السريع الذين وافقوا على الوقوف معنا وحمايتنا. بفضل هذه الاتفاقية، تمكنا من امتلاك السلاح للدفاع عن أنفسنا.

هذا التعاون جعل منطقتنا واحدة من أصعب المناطق التي يمكن للمستنفرين الاقتراب منها أو تهديدها. بعد امتلاكنا للسلاح، أصبح المتفلتون من قوات الدعم السريع يخشون الاقتراب من بيوتنا خوفًا

من التعرض للقتل. استمر هذا الوضع لمدة عام كامل، وكان عامًا مليئًا بالتحديات والمخاوف التي لا تنتهي. لقد عشنا في حالة من الترقب الدائم، وكنا نتوقع الهجوم في أي لحظة، مما جعلنا نعيش تحت ضغط نفسي هائل.

على الرغم من هذه الصعوبات، كانت هناك لحظات من الفرح والسعادة. كنا نفرح عندما نتمكن من تلبية متطلبات الحياة الأساسية مثل الأكل والكهرباء والماء وشبكة الاتصالات. كانت عودة الكهرباء بمثابة إنجاز كبير بالنسبة لنا، كنا نحتفل بها وكأنها عيد. كنا نجتمع معًا في المساء، ونتحدث عن أحلامنا وآمالنا، ونحاول نسيان الظروف الصعبة التي نعيشها.

كانت عودة المياه أيضًا مناسبة للفرح، فهي تعني إمكانية استخدام دورات المياه والاستحمام بعد أيام طويلة من العمل والجهد. كنا نبحث عن أي وسيلة لتحسين حياتنا وتجاوز هذه الظروف القاسية. قرأنا عن هوائيات المدى البعيد وحاولنا صنع مثلها لتشغيل شبكة الاتصال، وكنا نفرح عندما تنجح محاولاتنا ولو بشكل بسيط.

في وسط هذا الوضع الصعب، كانت هناك لحظات من التضامن والتعاون بيننا وبين أفراد الدعم السريع الذين وقفوا معنا. هذا التعاون أعطانا الأمل في أن نتمكن من تجاوز هذه الأزمة والبقاء على قيد

الحياة. كنا نشعر بأننا نقاتل من أجل حياتنا ومستقبلنا، وكان هذا الشعور يعطي معنى لكل لحظة نعيشها.

على الرغم من الصعوبات، كانت هناك فرحة بسيطة في كل إنجاز صغير، وكانت هذه الفرحة هي التي تمنحنا القوة للاستمرار والمضي قدمًا. كانت حياتنا مليئة بالتحديات، لكننا تعلمنا كيف نجد السعادة في الأشياء الصغيرة ونقدر النعم التي لدينا.

استنتاج:

في هذا العام المليء بالصعوبات، تعلمنا أن نجد السعادة في الأشياء الصغيرة. كانت قدرتنا على التكيف مع الظروف والتعاون مع الآخرين لحماية أنفسنا وممتلكاتنا هي التي ساعدتنا على الصمود والبقاء في وجه التحديات المتزايدة.

الفصل الخامس: روح التضامن فى حى النصر

أصف تجربتنا الجماعية خلال تلك الفترة العصيبة. كنا مجموعة متنوعة من الشباب وكبار السن نتناوب على حماية منطقتنا. لتنظيم حياتنا وتخفيف حدة التوتر، ابتكرنا طرقًا عديدة لتمضية الوقت والتواصل مع بعضنا البعض. كنا نصنع مباريات الضومنة والورق، ونقيم ولائم ليلية ينتظرها الجميع بفارغ الصبر.كل فرد منا كان له دور محدد يعتمد عليه الآخرون.

كنت أصلح الإلكترونيات وأعد الطعام ليلاً، بينما كان أخي خطاب يتولى مسؤولية إصلاح الكهرباء. صديقي أحمد طارق كان يلعب دورًا حيويًا في توفير الرصيد والسجائر للشباب.

عم ضياء كان المرشد الحكيم لكل خطواتنا، ونعتمد عليه في اتخاذ القرارات الصعبة. جودة، العامل البنّاء، كان يقوم بصيانة وتحسين منازلنا باستمرار.شيخنا جمعة كان مرجعنا في الأمور الدينية، يقدم لنا النصح والإرشاد الروحي.

خالتي الشفه وبناتها كنَّ المسؤولات عن تحضير الطعام وتوزيعه على الجميع. محمد سيراميك كان الحلاق الذي يعتني بمظهرنا، وجستن كان الخباز الذي يوفر لنا الخبز الطازج، وهمزة كان الشريك المخلص في الدفاع عن منطقتنا وتوفير الخضروات.كانت هذه المجموعة المتنوعة والمتعاونة هي السبب في إحياء مربع حي النصر 23.

بروح التضامن والتعاون، تمكنّا من الصمود في وجه التحديات وتحقيق الأمان والاستقرار في منطقتنا، رغم الصعوبات التي واجهتنا.

في كل صباح كنت أستيقظ وأجدهم أمامي، أولئك الذين كانوا الدعم الثابت لكل أفكاري وخطواتي. هؤلاء الناس الذين ما زالوا موجودين في الحي، صنعوا شيئًا عجزت الحكومة السودانية عن صنعه: الترابط الاجتماعي الحقيقي. في حي النصر، كنا نعتمد على بعضنا البعض لاستمرار حياتنا، وكأننا عائلة واحدة كبيرة.

كل منا كان له دوره الخاص في هذه المنظومة المتكاملة. كل شخص كان يعرف أن بقاءه واستمراره يعتمد على تعاون الآخرين. كنا نواجه التحديات معًا، نتخطى الصعاب معًا، ونبني أملنا ومستقبلنا في هذا الحي الذي كان ملاذنا الوحيد.

في هذا المجتمع الصغير، نجحنا في خلق بيئة من الدعم والتعاون والتضامن، تلك التي كانت تصنع الفارق الحقيقي في حياتنا اليومية. برغم كل الصعوبات، استطعنا أن نثبت أن الترابط الاجتماعي يمكن أن يكون أقوى من أي تحدٍ، وأن الأمل والعمل الجماعي يمكن أن يبني مستقبلًا أفضل.

الفصل السادس: فى وجه الصدع

لم يوقف هذا تصميمنا، سواء من قبل قوات الدعم السريع أو القوات المسلحة. كنا في حالة تأهب مستمر أرهقت أجسادنا وأعصابنا، لأننا كنا مهددين بقصف المسيرات أو اعتداء المستنفرين في أي لحظة. هذا الوضع دفعنا إلى تجنيد أنفسنا تلقائيًا للدفاع عن منطقتنا، بسبب موقعنا في قلب هذه الحرب.

تعلمنا استعمال الأسلحة وطرق استخدامها، وكيف نحمي أنفسنا عند الالتحام مع مجموعات مسلحة. كل يوم كان درسًا جديدًا في البقاء، مليئًا بالمخاطر ولكن أيضًا بالتصميم على البقاء.

الحياة في هذه الظروف الصعبة كانت مليئة بالخوف، لكن في نفس الوقت كانت مليئة باللحظات البسيطة التي أعادت لنا الأمل في البقاء. لحظات تضامنا مع بعضنا البعض، ومساعدتنا لبعضنا في أوقات الشدة، كانت تمنحنا القوة لمواصلة النضال.

برغم التحديات والضغوط النفسية والجسدية، كنا نكتشف قوة جديدة في داخلنا، ونتعلم كيف نكون أكثر قوة وصمودًا. في كل مرة ننجو فيها من خطر جديد، كان الأمل يكبر في داخلنا بأننا سنتمكن من تجاوز هذه المحنة، والعودة إلى حياة طبيعية يومًا ما.

مع مرور الأيام، أصبحت أصوات السلاح لا تخيفني واملي بالله يزداد قوة. اكتشفت هذا عندما كنا أنا وأصدقائي نحرس منازلنا ليلاً، فجأة، لاحظت مجموعة من المتفلتين يأتون في الظلام. سمعت خطواتهم فقلت لأحمد طارق: "نحتاج الدعم، هناك أشخاص لمحتهم في الظلام."

توجهت نحو المدخل المظلم، وتوجه أحمد وباقي الشباب ليكونوا مستعدين للاشتباك. وإذا بأحد أفراد المتفلتين يوجه نحوي السلاح ويصرخ: "اثبت مكانك"، مطلقًا رصاصة بالقرب من قدمي. لم أنصاع لأوامره، بل غضبت وتقدمت نحوه.

ظهر من الظلام خمسة أشخاص آخرين يتبعونه، وكانوا جميعًا مسلحين. أمروني بالجلوس على الأرض، لكنني لم ألق لهم بالاً. بدأوا بإطلاق النار تحت قدمي، فتوقفت وسألتهم: "ما بكم؟ وماذا تريدون؟"

اتهموني بأنني لص، فرددت بالنفي وأخبرتهم أن هذا منزلي. كانوا يعلمون ذلك، لكنهم ادعوا غير ذلك ليجدوا فرصة لسرقة ما أملك. التفوا حولي وحاولوا خلع هاتفي، وأحدهم حاول أن يضربني بظهر السلاح.

في هذه اللحظة، ظهر أحد أصدقائي الذين انضموا للدعم السريع، ووجه السلاح نحوهم وقال: "ماذا أنتم فاعلون؟"

عندما وجهوا أنظارهم إليه، رأوا شخصًا بزي الدعم السريع، فدبت فيهم لحظة خوف. بدأوا بالكذب، وفي نفس هذه اللحظة حضر عدة أفراد من الدعم السريع الذين هم من أبناء الحي في الأصل. بدأ المتفلتون في التفكير بما ارتكبوا، وحاولوا الانسحاب.

منذ ذلك اليوم لم أرهم في المنطقة، وكان الذي دلّهم علينا أحد سكان الحي، وهو معروف بين أهل الحي بأنه لص وله سوابق من قبل الحرب.

كان مثلهم كثيرون، ومع تزايد عددهم اضطررنا لشراء أسلحة لحماية أنفسنا ومنازلنا. في البداية كنا نعتمد على أصدقائنا المسلحين، ولكنهم لم يكونوا متوفرين في أغلب الأوقات، مما جعلنا ندرك أن علينا أن نعتمد على أنفسنا في مواجهة هذه التهديدات.

بدأنا في جمع المال لشراء الأسلحة والتدريب على استخدامها. كانت الأوضاع تزداد سوءًا، وكنا بحاجة ماسة إلى الدفاع عن أنفسنا وأحبائنا. كنا نعلم أن هذه ليست حياة طبيعية، ولكن في ظل الظروف التي كنا نعيشها، لم يكن لدينا خيار آخر.

مع مرور الوقت، أصبحت عمليات الحراسة أكثر تنظيماً، وكنا نتناوب على السهر لحماية منازلنا. رغم الخوف الذي كان يملأ قلوبنا، إلا أن شعور الوحدة والتكاتف بيننا كان يقوينا. كنا نعلم أن الاعتماد على بعضنا البعض هو السبيل الوحيد للبقاء على قيد الحياة في هذه الظروف الصعبة.

في إحدى الليالي، كنا أنا وهمزة في نوبة الحراسة. كان الهدوء يسيطر على الحي، لكننا كنا نعرف أن هذا الهدوء قد يخفي خلفه خطراً. فجأة، سمعنا أصوات أقدام تقترب، فتأهبنا واستعددنا للأسوأ. لم يكن لدينا خيار سوى أن نكون يقظين ومستعدين لأي تهديد.

تقدمنا ببطء نحو مصدر الصوت، ونحن نحاول عدم إصدار أي ضجيج. حين اقتربنا، رأينا مجموعة من الرجال يحاولون التسلل إلى أحد المنازل. كانت هذه اللحظة حرجة، وكان علينا أن نتخذ قراراً سريعاً. همس لي همزة: "علينا أن نوقفهم قبل أن يتسببوا بأي أذى."

أشرت له بالإيجاب، وبدأنا في التحرك بحذر. عندما أصبحنا على مقربة منهم، صاح همزة بصوت حازم: "توقفوا مكانكم!" فوجئوا بوجودنا وتراجعوا خطوة إلى الوراء، لكنهم لم يظهروا نية

للاستسلام بسهولة. كان لدينا أسلحة بينما لم يكن لديهم سوى أدوات بدائية، مما جعل الموقف لصالحنا.

بدأ الأعداء في التراجع تدريجياً، وأدركنا في تلك اللحظة أننا نجحنا في تخويفهم وإبعادهم عن منازلنا. تنفسنا الصعداء ونحن نراقبهم يبتعدون، ببطء ولكن بثبات. كانت هذه الليلة بمثابة تذكير لنا بقوتنا الحقيقية، وبأن اتحادنا يعطينا القوة لمواجهة أي تحدٍ مهما كان صعباً.

كانت الأنفاس متلاحقة والقلوب تدق بسرعة، ولكن شعوراً بالراحة بدأ يتسلل إلى نفوسنا. لقد أثبتنا لأنفسنا أن التعاون والدعم المتبادل يمكن أن يصنع الفارق. كانت نظراتنا متبادلة، مليئة بالأمل والعزم، ندرك أن الطريق أمامنا لا يزال طويلاً ومليئاً بالصعوبات، لكن بفضل تعاوننا وثقتنا ببعضنا البعض، كنا واثقين من قدرتنا على الصمود والبقاء.

كان الليل هادئاً بعد رحيلهم، وكأن النجوم في السماء تبارك جهودنا وتعطينا الأمل في يوم جديد. هذه الليلة ستبقى في ذاكرتنا طويلاً، كدليل على قوتنا ووحدتنا، وعهد جديد بأننا لن نستسلم مهما كانت التحديات التي تنتظرنا.

الفصل السابع:قرار الرحيل

مع مرور الأيام، بدأ الحي يمتلئ بالناس، فأيقنت أن منطقتنا أصبحت شبه آمنة رغم أنها تقع في قلب العاصفة. كان الشعب السوداني مقتنعًا بأن منطقة شرق النيل هي منبع الدعم السريع، بسبب أن أغلبيتهم هم من أسر أشخاص تابعين للدعم السريع ولم يخرجوا من منازلهم. وكان المتفلتون، الذين كانوا في الأصل لصوص الخرطوم من قبل الحرب، ينتسبون لقوات الدعم السريع، وهذا هو السبب الذي صنع العاصفة، فلم يكن لديهم هدف غير النهب.

بعد بضعة أيام، طلبت من أخي خطاب أن نخرج ونلحق بوالدتنا وإخوتي بعد أن تأكدت أن مستوى النهب والسرقة انخفض في حينا. كان أبي أيضًا يحاول إقناعه بذلك، ولكن خطاب لم يوافق على الخروج لأسباب أجهلها حتى الآن.

الحوار:

إبراهيم: خطاب، أعتقد أن الوقت قد حان لنلحق بوالدتنا وإخوتي. الوضع هنا بدأ يتحسن، ومعدلات النهب انخفضت.

خطاب: لا يا إبراهيم، لا أعتقد أننا يجب أن نغادر الآن. هناك أمور لم أرتب لها بعد.

الأب: خطاب، يجب أن نستغل هذه الفرصة. قد لا تكون هناك فرصة أخرى، والمخاطر لا تزال موجودة.

خطاب: أفهم ذلك، ولكن هناك أشياء يجب أن أقوم بها قبل أن نرحل. لا أستطيع أن أترك كل شيء فجأة.

إبراهيم: لكننا يجب أن نكون مع العائلة. الوضع هنا غير مستقر تمامًا.

خطاب: أعرف ذلك يا إبراهيم، ولكنني أشعر بأنني يجب أن أبقى هنا لوقت أطول قليلاً.

الأب: نحن نفهم مخاوفك يا خطاب، ولكن الأسرة هي الأهم الآن.

أدركت أن إقناع خطاب لن يكون سهلاً، ولكن في نفس الوقت كان يجب علينا اتخاذ قرار سريع قبل أن تتغير الظروف مرة أخرى. حصلت مناوشات ونقاشات حادة أدت إلى التهديد واستعمال القوة أكثر من مرة بسبب موضوع الرحيل. ولكن خطاب خرج عن السيطرة ولم يرضخ لكلمات أخيه.

قال خطاب بحزم: "لكم دينكم ولي ديني. أنا لن أخرج يا إبراهيم، إذا أردت الرحيل فارحل."

نظرت إلى خطاب بحيرة، وكنت ابحث عن حل وسط. ولكن كان واضحًا أن خطاب قد اتخذ قراره ولن يغيره بسهولة. حاولت التهدئة مرة أخرى قائلاً: "خطاب، نحن نفهم قلقك، لكن البقاء هنا قد يعرضنا جميعًا للخطر."

رد خطاب بحدة: "أنا أفهم المخاطر، ولكنني لا أستطيع ترك هذا المكان الآن. هناك أمور أحتاج لإنهائها."

أدركت أن الحديث لم يعد يجدي نفعًا، فحاولت أن استجمع شجاعتي وقلت: "حسنًا يا خطاب، سأحترم قرارك، لكنني سأذهب للبحث عن الأمان للعائلة. أتمنى أن تغير رأيك وتنضم إلينا قريبًا."

استدارت، وأخذت نفسًا عميقًا وانا اخطو خارج المنزل، عازمًا على العثور على طريق آمن للعائلة، بينما بقي قلبي مثقلًا بالقلق على أخي الذي رفض الرحيل. كانت والدتي وإخوتي في انتظارنا، وكان والدي الذي يتواجد في السعودية يتابع الأخبار بقلق دائم، متمنياً أن يجتمع بهم قريبًا في مكان آمن.

اتصلت بأمي وأبي وأخبرتهم بما جرى، وبأنني قد مللت من عدم توفر العمل وكثرة القلق والصحة التي بدأت تتدهور. قلت لأبي وأمي: "أنا سوف أخرج من الخرطوم وأتوجه إلى مدينة عطبرة،

ويجب أن أسبق الكل خارج السودان لكي أستطيع تهيئة الوضع واستكشاف المكان الذي سوف أتوجه إليه."

طلبت من أبي أن أصطحب أمي وإخوتي معي إذا أمكنه أن يدعمني ببعض المال. فرد علي أبي بحزن: "إبراهيم، ظروفي لا تسمح لي بإخراج أهلك ولا أستطيع حتى مساعدتك إذا خرجت من السودان. أفضّل أن تبقى مع أسرتك في السودان حتى تنتهي الحرب."

شعرت بخيبة أمل عميقة، وقلت له: "أبي، لا أستطيع البقاء. الحرب لن تنتهي قريباً، ولا نعلم ما سيحل بنا أو بمستقبلنا."

قطع أبي تنهيدة طويلة قبل أن يرد: "إبراهيم، أفهم مشاعرك، لكنني لا أملك الوسائل لدعمك في هذا الوقت. الأفضل أن تبقى مع أمك وإخوتك."

قطعت وعدًا لأبي: "إذا خرجت، لن أطلب مساعدتك. أرجوك، اهتم فقط بأمي وإخوتي."

أنهينا المكالمة، وأنا أشعر بعبء ثقيل على كتفي، ولكنني كنت مصممًا على الخروج والبحث عن الأمان. كان هذا القرار صعبًا، ولكنه كان الخيار الوحيد أمامي.

بعد أن وافقت أسرتي على فكرة تحركي من الخرطوم، قررت التحرك بعد أسبوع ودعت لي بالتوفيق. كان الخيار صعبًا للغاية، حيث اضطررت لاتخاذ هذا القرار بعد أن مضى عام كامل من غير أن أرى والدتي وإخوتي.

فحزمت حقائبي بكل ما يلزم ووصيت عمي ضياء الدين بأخي خطاب، ثم توكلت على الله في هذه الرحلة الصعبة التي أمامي.

الفصل الثامن "رحلة الخروج من الخرطوم"

في صباح يوم هادئ، شق نور الفجر طريقه عبر نافذتي، ليعلن بداية يوم جديد وحاسم في حياتي. كان قراري قد اتخذ الليلة الماضية، فاليوم هو يوم الخروج من الخرطوم. مشاعر مختلطة من الحزن والخوف والأمل كانت تتصارع في داخلي، لكن اليقين بضرورة الرحيل كان أكبر من كل شيء.قمت من سريري بعزم وتصميم، وأخذت أعد أمتعتي القليلة. كانت حقيبتي تحتوي على الضروريات فقط، أشياء لا غنى عنها في رحلة طويلة ومجهولة. بعد تجهيز كل شيء، التقطت هاتفي واتصلت بأخي خطاب، ليعلم أنني جاهز. كان هو من أكثر الأشخاص دعمًا لي في هذه اللحظة الصعبة، وقد نسق مع عم ضياء لترتيب وسيلة النقل.في السادسة صباحًا تمامًا، وصلت الحافلة الصغيرة أمام منزلنا. كانت الشوارع هادئة بشكل غير معتاد، وهو ما أضفى على الوضع شعورًا غريبًا بالطمأنينة الممزوجة بالتوتر. وقفت على عتبة المنزل، ألقي نظرة أخيرة على المكان الذي عشت فيه سنوات طويلة، ثم ودعت الجميع بقلبي المليء بالأماني.توكّلت على الله، وصعدت إلى الحافلة التي ستقلني إلى موقف الباصات، حيث تبدأ رحلتي نحو المستقبل المجهول. كان هذا القرار هو الأصعب، لكن الأمل بفتح صفحة جديدة من حياتي كان هو الدافع الأكبر.

وصلت إلى موقف الباصات في الحاج يوسف وحجزت تذكرتي. كان المكان يعج بالمسافرين، بعضهم يحمل الحقائب الثقيلة، والبعض الآخر يودع أحبائهم بعيون دامعة. حاولت الحفاظ على هدوئي، رغم القلق الذي بدأ يتسلل إلى داخلي عندما لاحظت وجود قوات الدعم السريع تقوم بتفتيش حقائب المسافرين.

بدأت أفكر في كل الأشياء التي أحملها معي، وتذكرت أنني أحمل جهازين لابتوب وعدة ذاكرات خارجية تحتوي على أنظمة ويندوز وأدوات صيانة. عندما حان دوري، تقدم نحوي أحد الجنود وأمرني بفتح حقيبتي. بدأ بتفتيش دقيق لكل شيء، حتى وصل إلى حاسوبي وذاكراتي الخارجية.

كنت أشعر بالتوتر، لكنني حاولت المحافظة على ملامح هادئة. فحصوا محتويات الحاسوبين بدقة، ولم يجدوا شيئًا مريبًا. لكن عندما وصلوا إلى الذاكرة الخارجية، بدا أن شيئا ما أثار انتباههم. قرروا الاحتفاظ بها، رغم أنني شرحت لهم أنها تحتوي على أنظمة وأدوات صيانة لا أكثر. لم أرغب في النقاش كثيرًا، خشية أن أتأخر عن خطتي للخروج.

اكتفوا بذلك وسمحوا لي بالمرور. كان فقدان الذاكرة الخارجية خسارة صغيرة بالمقارنة مع الهدف الأكبر الذي أسعى إليه. بمجرد

أن غادرت نقطة التفتيش، شعرت ببعض الارتياح. كان قلبي لا يزال ينبض بسرعة، لكنني شعرت أنني قد تجاوزت واحدة من أصعب العقبات في رحلتي. توكلت على الله وأكملت طريقي نحو الحافلة التي ستأخذني بعيدًا عن الخرطوم، باتجاه مستقبل جديد مليء بالأمل والفرص.

في تمام الساعة الثامنة والنصف، تحرك الباص المتجه إلى عطبرة. أخذت مكاني بين الركاب، وكل واحد منهم يبدو وكأنه يحمل على كتفيه قصة لا تختلف كثيرًا عن قصتي. رغم محاولتي الاسترخاء، إلا أن القلق كان يعتصرني من الداخل، خاصةً على أجهزة الحاسوب الخاصة بي.

بذلت جهدًا كبيرًا في إخفاء أمتعتي جيدًا بين المقاعد وتحتها، متمنيًا أن لا تكون هناك عمليات تفتيش أخرى على طول الطريق. كنت أعلم أن قوات الدعم السريع قد تظهر في أي لحظة لإجراء تفتيش مفاجئ، وقد يؤدي ذلك إلى مشاكل جديدة أنا في غنى عنها.

جلست في مقعدي محاولاً التركيز على الطريق والمناظر الطبيعية التي بدأت تتكشف أمامي، محاولاً تهدئة نفسي بتكرار الأدعية والاستغفار. كان علي أن أكون يقظًا ومتحفزًا طوال الرحلة، فالخروج من الخرطوم لم يكن إلا البداية. كنت أعلم أن الطريق إلى

عطبرة قد يكون مليئًا بالتحديات، لكنني كنت مستعدًا لتحملها في سبيل الوصول إلى بر الأمان.

توالت ساعات الرحلة ببطء، وكلما اقتربنا من وجهتنا، كان الخوف يتراجع ببطء ليحل محله شعور بالأمل والتفاؤل. كنت أعلم أنني سأواجه صعوبات، لكن ثقتي بالله وإيماني بأنني اتخذت القرار الصائب كانا يدفعانني للاستمرار.

في تلك اللحظات، كانت أفكاري تتقلب بين الذكريات المؤلمة في الخرطوم وبين آمال وتطلعات المستقبل. لم يكن هناك شيء مضمون، لكنني كنت أعلم أنني بحاجة للمضي قدمًا، وأن كل خطوة تخطوها الحافلة كانت تقربني أكثر من فرصة جديدة، ومن حياة أهدأ وأكثر استقرارًا.

كان هناك سبع نقاط تفتيش لقوات الدعم السريع من الحاج يوسف وحتى منطقة حطاب خارج الخرطوم. في كل نقطة تفتيش، كان الجنود يطلبون من الركاب الرجال النزول من الباص، حيث يتم تفتيشنا بدقة وتهديدنا. كانت هذه الإجراءات تهدف إلى إدخال الرعب فينا، لكنني تحملت ذلك بصبر.

عند أول نقطة تفتيش، طلب منا النزول واحدًا تلو الآخر. كان الجنود ينظرون إلينا بعيون حادة، مليئة بالشك والعدوانية. بدأوا بتفتيش حقائبنا وأجسادنا بعناية، متلفظين بتهديدات مبطنة بين الحين والآخر. رغم شعوري بالخوف والقلق، حاولت المحافظة على هدوئي وعدم إظهار أي علامة على الاضطراب.

عندما انتهوا من تفتيش الحافلة والركاب، سمحوا لنا بالعودة إلى مقاعدنا. تنفسنا الصعداء، ولكن كان هناك دائماً القلق من النقطة التالية. في كل مرة كنا نمر فيها بنقطة تفتيش جديدة، كان السيناريو يتكرر: نزول، تفتيش، تهديد، وصعود مجددًا إلى الحافلة.

كانت تلك التجربة مرهقة ومجهدة، لكنني تعلمت كيف أتحملها بصبر وتجلد. في كل مرة كانوا ينتهون من التفتيش دون العثور على شيء مريب، كنت أشعر بارتياح نسبي، وأدعو الله أن تنتهي هذه الرحلة بسلام. رغم كل تلك المصاعب، كان لدي إيمان قوي بأن الصبر والإصرار سيقوداني إلى وجهتي بأمان.

كلما اقتربنا من منطقة حطاب خارج الخرطوم، كان الأمل يكبر في داخلي. كنت أعلم أن هذه المحطات الصعبة ما هي إلا جزء من الرحلة، وأن الوصول إلى عطبرة يعني بداية جديدة بعيدًا عن كل

هذه المتاعب. تحملت تلك التفتيشات والتهديدات بروح متفائلة، متيقنًا أن الفرج قريب وأن الصبر هو المفتاح للنجاة.

في إحدى نقاط التفتيش، واجهنا مفاجأة غير متوقعة. بدت النقطة في البداية وكأنها جزء من سلسلة نقاط التفتيش المعتادة لقوات الدعم السريع، ولكن بعد بضع دقائق، اتضح لنا أنها كانت نقطة وهمية مكونة من لصوص ادعوا أنهم من قوات الدعم السريع.

وقفوا أمامنا بزي عسكري مماثل، وبدأوا بتفتيشنا تحت تهديد السلاح. كانت نظراتهم المليئة بالشر والعدوانية تكشف عن نواياهم الحقيقية. صرخ أحدهم بحدة: **"أعطنا ما تملك أو مت!"** لم يكن هناك مجال للتفكير أو المقاومة، فكان الخوف يتملكنا جميعًا.

بدأوا بنهب الركاب واحدًا تلو الآخر، يأخذون الهواتف والأجهزة الإلكترونية وكل ما يعتقدون أنه ذو قيمة. عندما جاء دوري، حاولت التحلي بالهدوء وتقديم ما طلبوه بسرعة لتجنب أي مواجهة عنيفة. أخذوا هاتفي وسماعة الأيربودز الخاصة بي دون تردد، وهددوني بسلاحهم لضمان عدم محاولة استعادتها أو الاحتجاج.

كانت تلك اللحظات تمر ببطء شديد، وكأن الزمن قد توقف. شعرت بالعجز والغضب، لكنني أدركت أن حياتي وأمن الآخرين أهم من أي ممتلكات مادية. بعد أن انتهوا من نهبنا، تركونا في حالة من الصدمة

والخوف. عاد الجميع إلى الحافلة بصمت، وكانت مشاعر القلق والحزن تخيم على وجوه الركاب.

عندما استأنفنا الرحلة، حاولت استجماع شجاعتي من جديد. على الرغم من فقداني لممتلكاتي الشخصية، شعرت بارتياح نسبي لأننا لم نتعرض لأذى جسدي. كانت تلك التجربة تذكيرًا قاسيًا بمدى الخطورة والتحديات التي نواجهها في هذا الطريق، لكنها أيضًا زادتني إصرارًا على الوصول إلى عطبرة بسلام.

مع مرور الوقت، بدأ الخوف يتلاشى تدريجيًا ليحل محله شعور بالتصميم. كانت تلك الرحلة مليئة بالعقبات، ولكنني كنت عازمًا على المضي قدمًا مهما كان الثمن. كنت أعلم أن الوصول إلى بر الأمان يتطلب الصبر والتحمل، وكلما اقتربنا من وجهتنا، كان الأمل يزداد قوة في داخلي.

بعد تجاوز نقاط التفتيش من شرق النيل وصولًا إلى دردوق وأخيرًا حطاب، بدأت نقاط تفتيش الجيش في الظهور. كان الجو مختلفًا هذه المرة، إذ بدت نقاط التفتيش أكثر نظامًا، على الرغم من إجراءات التفتيش الصارمة. في كل نقطة، كنا نُطلب النزول ويتم تفتيشنا بدقة، لكن شعور الأمان كان أكبر مقارنة بتلك التي مررنا بها سابقًا.

بعد عدة نقاط تفتيش للجيش، توقفنا أخيرًا في استراحة لننال قسطًا من الراحة. كانت الاستراحة بسيطة لكنها مرحب بها بعد الرحلة الشاقة والمليئة بالتوتر. نزلنا من الباص بحثًا عن مكان للجلوس والراحة. كانت هناك مقاعد خشبية مبعثرة تحت ظلال الأشجار، حيث تجمع الركاب ليستريحوا ويتناولوا بعض الطعام والماء.

شعرت بالتعب الشديد من الرحلة ومن التوتر المستمر. جلست على أحد المقاعد محاولًا الاسترخاء، وتذكرت كل ما مررت به منذ بداية الرحلة. كان الأدرينالين الذي أبقاني مستيقظًا طوال الطريق قد بدأ يزول، وأحسست بثقل الجفون. استسلمت للنوم سريعًا، مدركًا أن جسدي وعقلي بحاجة ماسة إلى الراحة.

نمت بعمق حتى اليوم التالي، وكان النوم العميق ضرورة لاستعادة الطاقة والتركيز. عندما استيقظت في الصباح، شعرت بشيء من الانتعاش، على الرغم من أنني كنت لا أزال متعبًا قليلاً. توجهت إلى الحافلة مجددًا، واستعد الجميع لمواصلة الرحلة.

ركبت الحافلة مرة أخرى، وكنت أكثر تفاؤلاً وأملاً بأن الجزء المتبقي من الرحلة سيكون أقل خطورة. كانت تجربة المرور بنقاط تفتيش الجيش مطمئنة إلى حد ما، وكنت أعلم أنني اقتربت أكثر من وجهتي. برغم كل الصعوبات والتحديات التي واجهتها، كنت مصممًا على الوصول إلى عطبرة، وبداية فصل جديد من حياتي.

طلبت من أحد الركاب أن يعيرني هاتفه لكي أستطيع التواصل مع صديقي الذي سوف يلاقيني في عطبرة. كان الجيش شديد الحذر، فهم يشكون في أن أي أحد جاء من الخرطوم قد يكون تابعًا للدعم السريع أو جاسوسًا. هذا الأمر وحده كان مرهقًا، حيث دخلت في العديد من التحقيقات مع أفراد المباحث العسكرية، وتعرضت للاستجواب والتحقيق طوال فترة الطريق.

مع كل نقطة تفتيش نمر بها، كانت الأجواء تزداد توترًا. كان الجنود ينظرون إلي بعيون متفحصة وكأنهم يبحثون عن أدنى دليل يمكن أن يدينني. لم أكن أعرف ما إذا كان بإمكاني الوصول إلى عطبرة بسلام. في كل مرة كانت الشكوك تزداد، شعرت بقلبي ينبض بسرعة وكأنني في سباق ضد الزمن.

أثناء تلك الرحلة، تعرفت على أحد الركاب الذي كان متوجهًا إلى نفس الوجهة. كان اسمه علي، وبدأنا نتبادل الحديث عن حياتنا في الخرطوم وعن الوضع الصعب الذي نعيشه. كان لديه العديد من القصص عن صراعه اليومي للبقاء على قيد الحياة، وعن لحظات الأمل التي كانت تضيء طريقه في ظل الظلام.

عندما وصلنا أخيرًا إلى عطبرة، شعرت بأنني قد تجاوزت اختبارًا عسيرًا. قابلني صديقي بحفاوة وترحاب، وأخذني إلى مكان آمن حيث يمكنني أن أستريح وألتقط أنفاسي. كنت أعرف أن الطريق ما زال طويلًا، ولكنني كنت ممتنًا لأنني تجاوزت هذا الجزء من الرحلة بسلام.

الفصل التاسع :الرحيل المرير

بعد وصولي إلى عطبرة، التقيت بصديقي حداد الذي استقبلني بحرارة وأخذني إلى منزل أقاربه لكي أرتاح من عناء الرحلة. كنت صائمًا في ذلك الوقت، والشمس كانت قوية، مما جعلني أشعر بإرهاق شديد. حداد، بروحه الطيبة، اقترح أن نذهب للسباحة في النهر القريب من منزل خالته لنخفف من حرارة الجو ونستعيد بعض النشاط. بالفعل، توجهنا إلى هناك، وكانت مياه النهر باردة ومنعشة، مما أعاد لي بعض الحيوية. مع اقتراب وقت المغرب، عدنا إلى المنزل حيث تناولت وجبة الإفطار مع عائلتهم الكريمة، وأنا ممتن لهذه اللحظات البسيطة التي منحتني بعض السلام وسط كل هذا الصخب.

بعد أن أمضيت يومين فقط في منزل حداد، حيث استعدت نفسي للخطوة الأكبر، وهي الخروج من السودان. كانت خطوتي الأولى هي الحصول على هاتف جديد، وقد ساعدني حداد في شراء واحد. بعد ذلك، حددت وجهتي التالية: التحرك إلى أبو حمد، وهي منطقة ليست بعيدة عن عطبرة. هدفي الرئيسي كان إيجاد وسيلة نقل تهريبية إلى مصر، نظرًا لارتفاع تكلفة الفيزا وتذاكر الطيران. كانت هذه الفترة مليئة بالترقب والحذر، حيث كان علي التخفي واتخاذ كل

الاحتياطات اللازمة لضمان سلامتي ووصولي بسلام إلى وجهتي النهائية.

كانت أصعب لحظات حياتي هي قراري بالذهاب وحدي دون أسرتي، وهو ما جعل الفراق أكثر ألمًا وصعوبة. فبالرغم من اليقين بأن هذه الخطوة ضرورية لسلامتي ولمستقبل أفضل، إلا أن وداع الأحباء وتركهم خلفي كان قراراً صعباً وموجعاً. كانت ذكريات الأوقات الجميلة التي قضيتها معهم تتراكم في ذهني، وكانت الأماني باللقاء القادم تجتاح قلبي بالحنين والأسى. ومع كل هذه الصعوبات، كان علي أن أبقى قوياً وثابتاً، متمسكاً بالأمل في يوم جديد يجمعنا من جديد، وفي ذلك الوقت، كان الصبر والاحتمال هما ما بقيا لي صديقين يسانداني في رحلتي الشاقة.

تواصلت مع أهلي وأخبرتهم بكل شيء، ودعوا لي بأن يسهل الله لي دربي. تواصلت مع أصدقائي في مصر لكي يرتبوا لقدومي. بعد يومين، تحركت من عطبرة إلى أبو حمد. ودعت صديقي حداد بحرارة، وتمنيت أن يجمعني الله به في ساعة خير.

بعد وصولي إلى أبو حمد، كنت على اتفاق مع أحد المهربين. ركبت معه وكانت آخر لحظات تمر أمي لذاكرتي في السودان. كان شعوري كأنما سُلبت الروح مني، موجع ولكنه للأفضل.

الطريق كان مليئًا بالمخاطر، حيث كنا نعبر مناطق نائية وغالبًا ما نواجه تحديات وصعوبات. ومع ذلك، كان هناك أمل ورغبة قوية في الوصول إلى الأمان. تجاوزنا الحواجز والصعوبات بصبر وإصرار، كل خطوة تقربني من هدفي وتجلب لي شعورًا بالأمان المؤقت.

في طريقنا، تبادلنا الحديث عن تجاربنا وأحلامنا، كان المهرب يبدو محترفًا وذا خبرة في هذه الرحلات، مما أعطاني بعض الطمأنينة. كنت أفكر في مستقبلي في مصر، وكيف سأبدأ من جديد وأبني حياة جديدة بعيدًا عن الفوضى والصراع.

وصلنا إلى الحدود، وكان علينا الانتظار لبعض الوقت حتى نجد الفرصة المناسبة للعبور. كنت أشعر بالقلق والتوتر، لكنني كنت أيضًا مليئًا بالأمل. أخيرًا، تمكنا من عبور الحدود ووصلنا إلى مصر، حيث كان أصدقائي في انتظاري.

استقبلوني بترحاب كبير وقدموا لي كل الدعم اللازم لأبدأ حياة جديدة. شعرت بالامتنان الشديد لهم ولله سبحانه وتعالى الذي سهل لي هذا الطريق. كانت هذه بداية جديدة، فرصة لأعيد بناء حياتي وأحقق أحلامي بعيدًا عن الخوف والمعاناة.

الخاتمة

كان الطريق طويلاً وشاقاً، مليئاً بالتحديات والصعاب، ولكن في النهاية، أثبتت رحلة إبراهيم أحمد فضل الله أن الإيمان بالصمود والتفاؤل يمكن أن يفتح الأبواب أمام فرص جديدة وحياة أفضل.

بعد وصوله إلى مصر، بدأ إبراهيم في بناء حياة جديدة، محاطاً بأصدقائه الذين قدموا له الدعم والمساندة. تعلم أن القوة الحقيقية تكمن في المرونة والقدرة على التكيف مع الظروف الصعبة، وأن الأمل هو الحافز الذي يدفعنا للاستمرار حتى في أحلك الأوقات.

على الرغم من الابتعاد عن الوطن والأحباء، كان إبراهيم يحمل دائماً في قلبه ذكرى السودان، الأرض التي نشأ فيها وعايش فيها أجمل اللحظات وأصعبها. كل تجربة مر بها، وكل تحد واجهه، ساهمت في تشكيل شخصيته وزادت من قوته وعزيمته.

إن قصة إبراهيم ليست مجرد سرد لأحداث وشخصيات، بل هي رسالة للأجيال القادمة عن أهمية الصمود والتفاؤل في مواجهة الصعاب، وعن قوة الإرادة التي يمكن أن تحول المستحيل إلى ممكن.

في النهاية، يمكننا القول إن إبراهيم أحمد فضل الله نجح في قلب الكفاح، حيث استطاع أن يحول الظروف الصعبة إلى فرص جديدة، وأن يبني حياة جديدة مليئة بالأمل والطموح. ستبقى قصته رمزاً للأمل والشجاعة، ودليلاً على أن النهايات السعيدة ممكنة لمن يؤمنون بها ويسعون لتحقيقها.

هكذا، ينتهي هذا الكتاب، ولكن قصة إبراهيم ستظل خالدة في قلوبنا، تلهمنا لنمضي قدماً ونواجه التحديات بعزم وإرادة قوية.